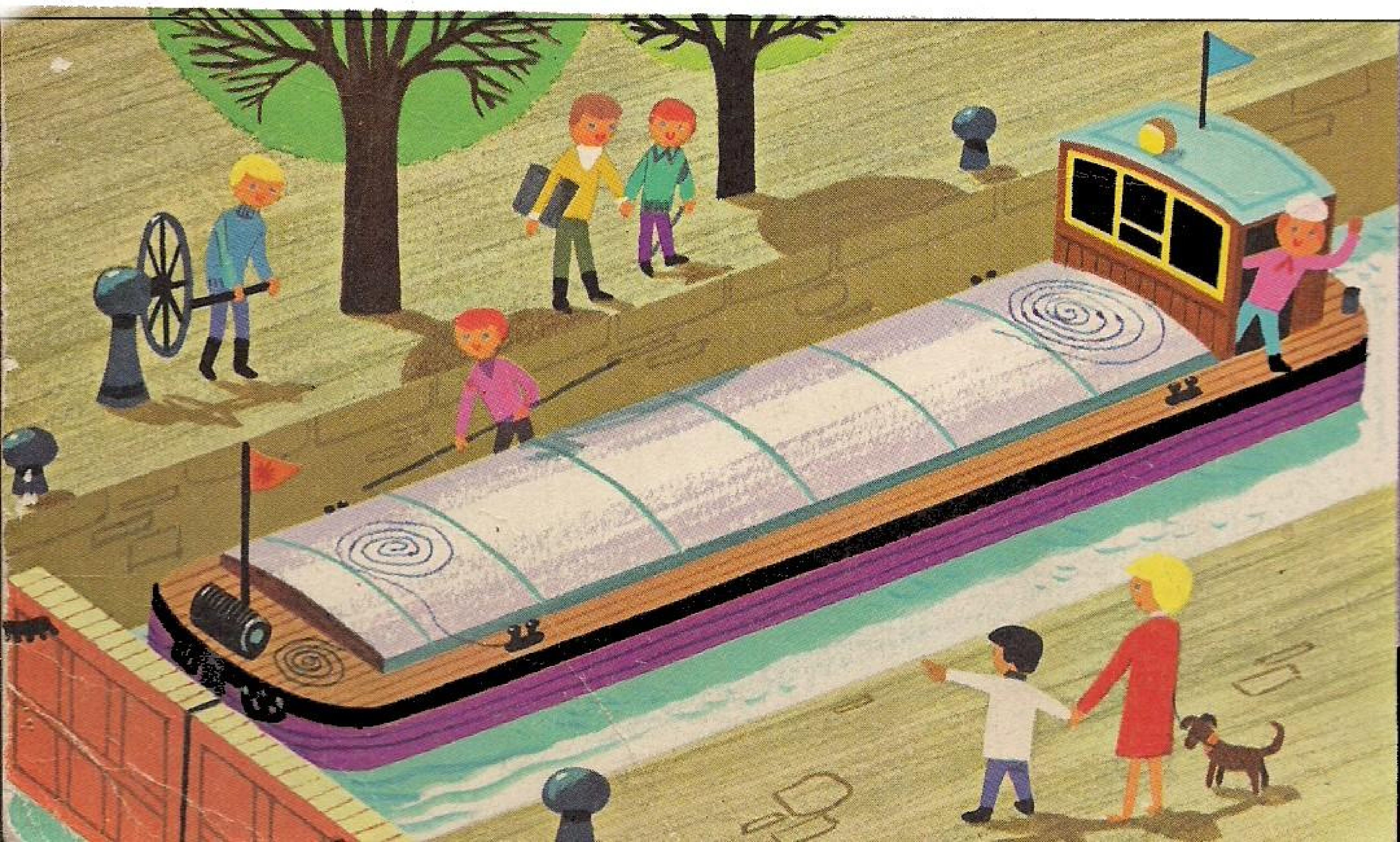
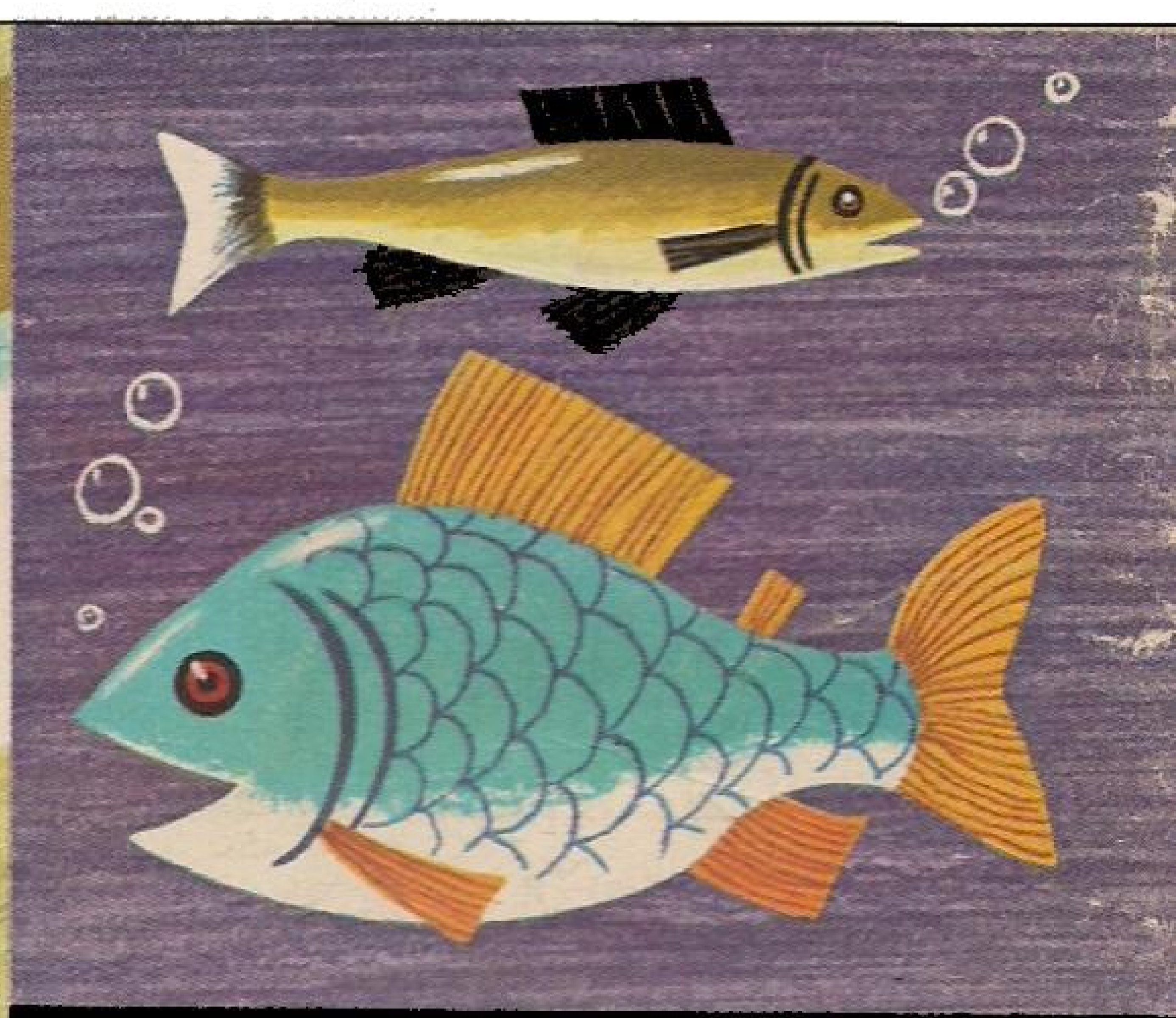
مجموعة نبيل وزينه



الجدول





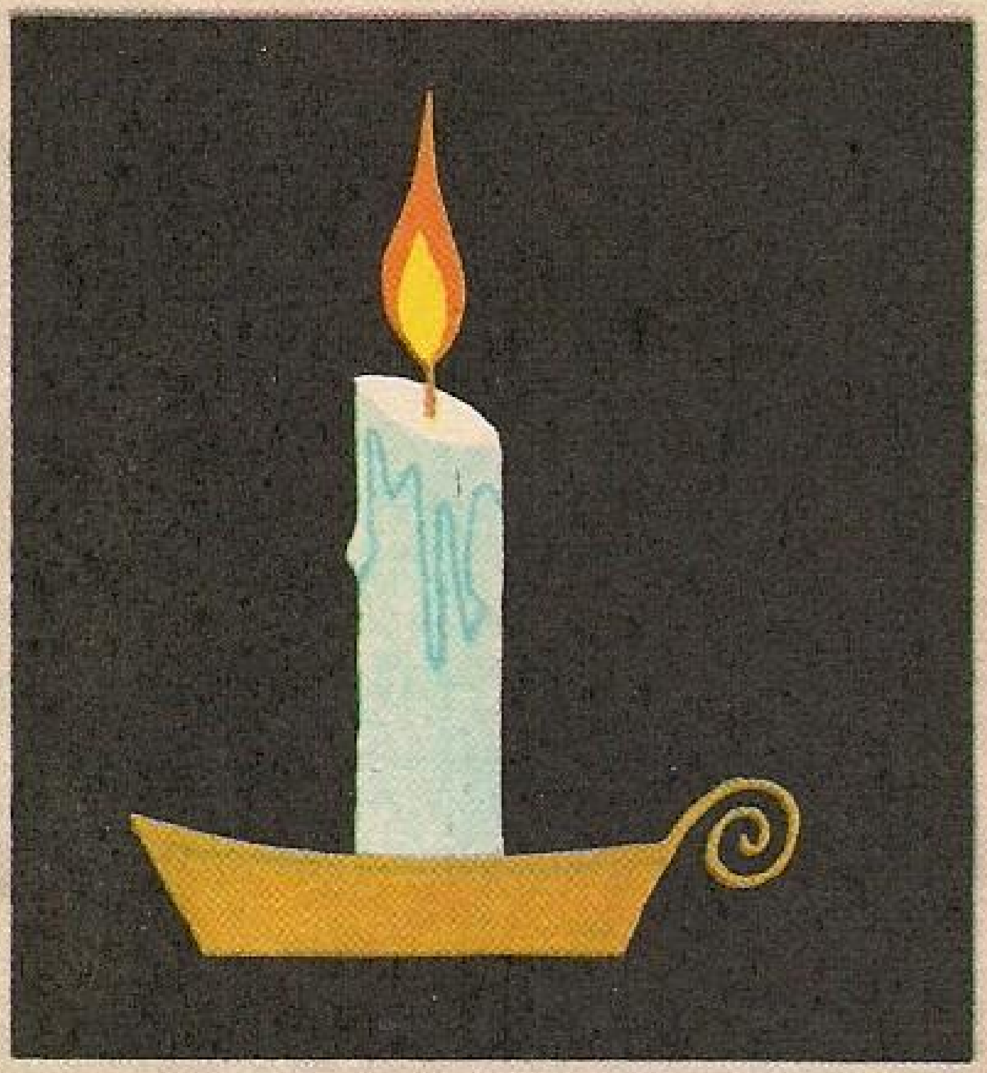
دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)
ص.ب: ٩٤٦، بيروت - لبنان





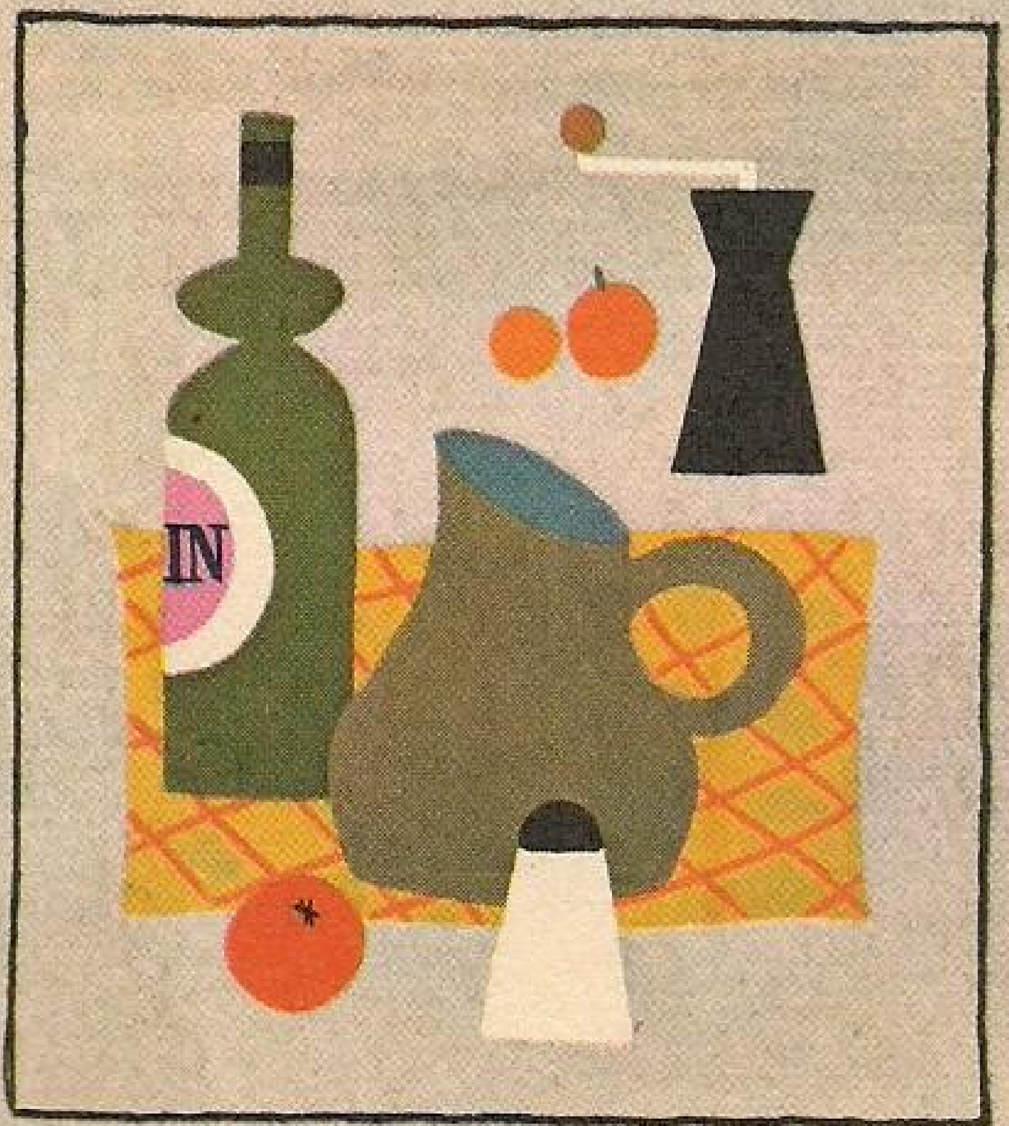


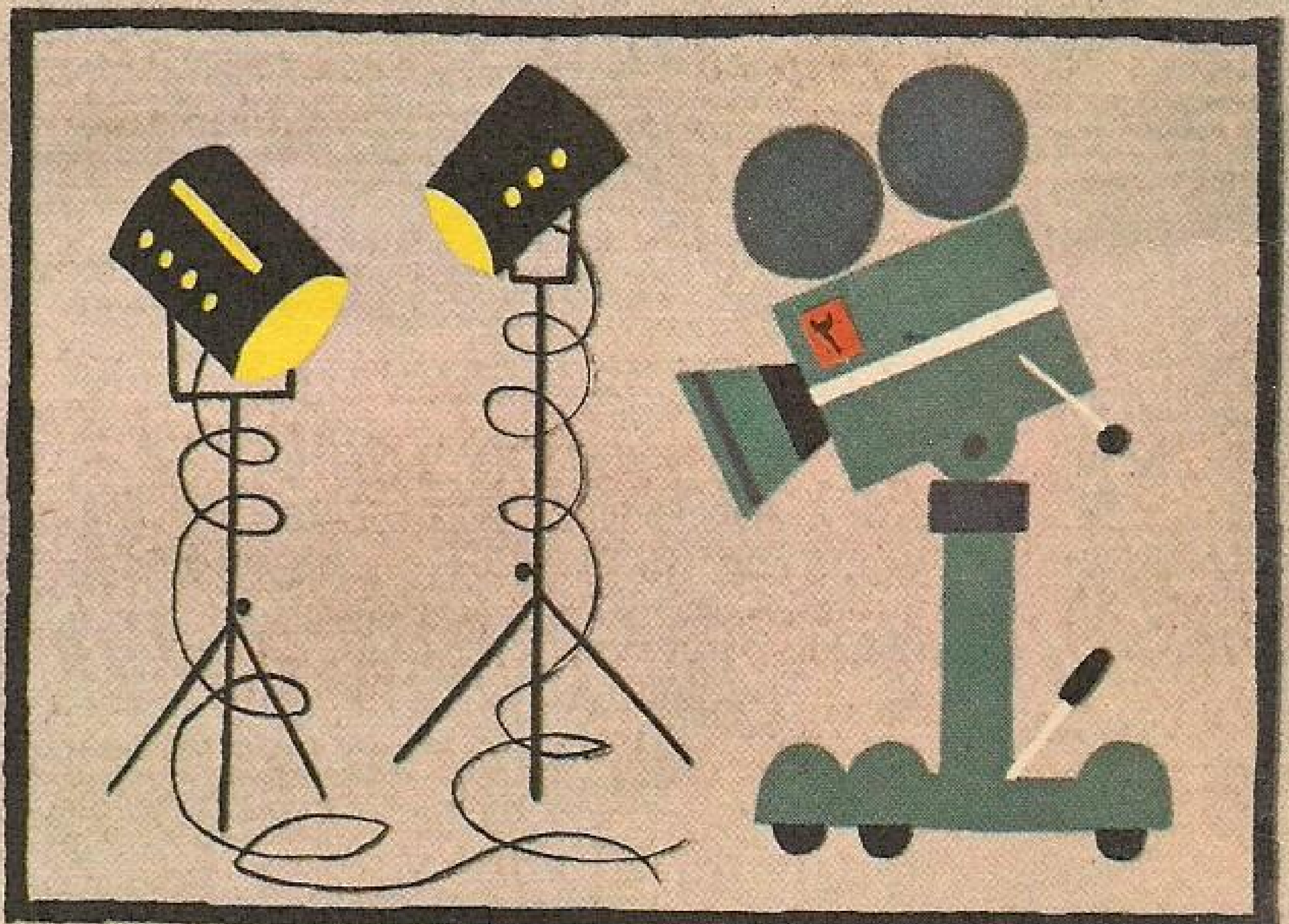







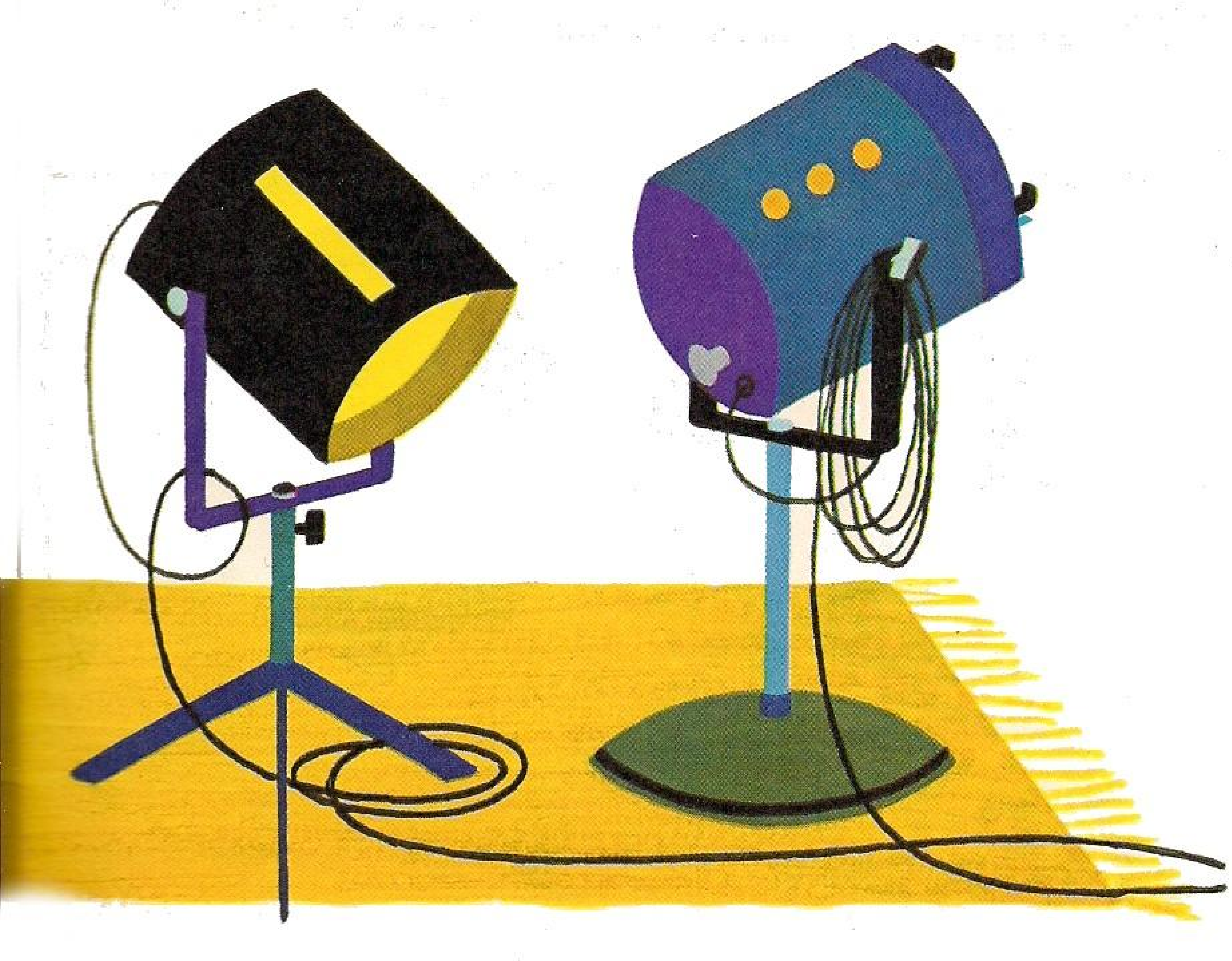




نبيل وزينب

الجدول





يقدّمان





التوزيع : **المكتبة الشرقية** ، ساحة النجمة ، ص. ب. ١٩٨٦ ، بيروت ، لبنان



– واحدٌ بعدُ، يا زينه! هيّا أَسرِعي! وتَمتمَتِ الفتاةُ مُتذمِّرةً: كم هيَ ثقيلةٌ هذهِ الحِجارة... ألمْ تَنتهِ بعد؟. وتَهيَّأَ نبيل يُريدُ أَنْ يَشرحَ لها، عندما زَعَقَ صوتٌ وراءَهُ، فالتَفَتَ مُرتعِشًا ليرى الرُّبّانَ سمعان في لِباسِ الصَّيْدِ يَنتَهِرُهُما قائلا:

– ماذا تَصنعانِ، ايُّها الغبيّان؟

– سَدًّا، ايُّها الرُّبّان، ونحنُ الآنَ نَكادُ...

– ماذا؟ سَدًّا؟ أَليسَ الأجدرُ بكما أنْ تَنصرِفا الى غيرِ هذا الضَّرْبِ منَ العَبَثِ وتَدعَا الجَدْوَلَ يَنسابُ بحُرِّيَّةٍ واطمِئنان؟

– ولكنَّهُ جَدولٌ تافِهٌ لا فائدةَ منهُ ولا يَصلُحُ...

– أستَنتِجُ منْ هذا الكلامِ أنَّكُما تَجهلانِ تمامَ الجَهلِ كلَّ شيءٍ عنْ مَجاري المياه. أتعرفانِ منْ أينَ يأْتي هذا الجدولُ والى اينَ يسير؟





منبع
ساقية
جدول
جزيرة
عالية نهر
سافلة نهر
جسر
منعطف
نهر
إتّجاه
الملتقى
ساعدة

لا بدّ، يومًا، أن يصبح الجدول نهرًا


الرُّبّانُ سمعان غريبُ الأَطوار. حتى عُطلتُهُ السَنَويةُ لا يَستطيعُ ان يَقضيَها بعيدًا عنِ المياه. لقدْ اتى الى ضِفافِ الأَنهرِ يُفتِّشُ عمّا حرَمتْهُ إيّاهُ المياهُ المالحة...

فجلَسَ على صخرٍ أملسَ ونفخَ عدّةَ نَفَخاتٍ في غَليُونِهِ تَصاعَدَ على أثرِها الدُّخانُ يَتَلوّى على أنغامِ النَّسيمِ وبعدَ أنْ احكمَ جِلستَهُ قال :

– مجرى الماءِ هذا، مَنبَعُهُ في رأسِ الجبلِ، فلا يكونُ عند ذاكَ الّا حبلًا منَ الماء.

– بحجمِ الماءِ الذي يَنزِلُ منَ الحَنفيّة؟

– تقريبًا. وهذهِ السّاقيةُ تَتَضخَّمُ بمياهِ الأَمطارِ وتَجمُّعِ سَواقٍ أُخرى حتى تُصبِحَ جدْوَلًا جميلًا رَقراقًا بعَرضِ الطريقِ اولًا، حتى اذا ما انضمّتْ اليهِ السَواعِدُ السَخيَّةُ صارَ نهرًا عظيمًا يُداعبُ الجُسورَ وتَزرَعُهُ المراكِبُ عَرْضًا وطُولًا، ومنْ ثَمَّ يُتابِعُ سيرَهُ ليَذوبَ اخيرًا في البَحر. والآنَ هل اقتنَعتُما بأَنَّ هذا المَجرى الصغيرَ قدْ يُصبحُ، يومًا ما، كبيرًا جدًّا؟!

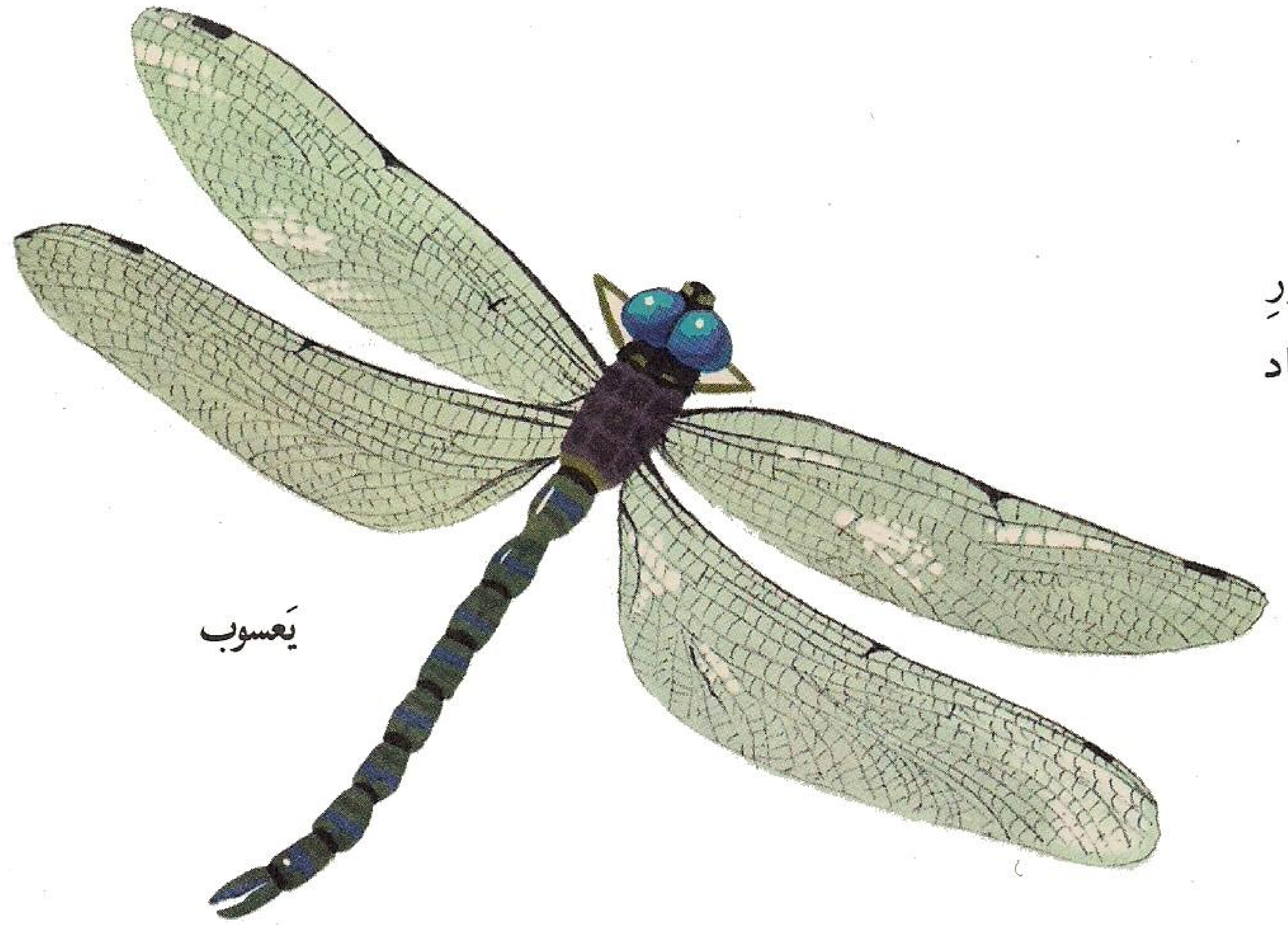


قالَتْ زينه مُندَهِشَة : ما اطولَ الطريقَ بينَ المَنبعِ والمَصَب . ألا يَسأَمُ الجَدْوَلُ في كلِّ هذهِ المَسافة؟ .
رَفَعَ الرُّبّانُ سمعانَ قُبَّعتَهُ وابتَسَم :
– لا يَحدُثُ شيءٌ منْ هذا ، اذ إنَّ الأَصدقاءَ كثيرون . والأيامُ تَتوالى بسُرعَةٍ برِفْقَةِ الشُنْقُب (الشُكُّب) ومالكِ الحزينِ والبَجَعِ والبَطّ والإوَزِ البرّي . كلُّها طُيورٌ تَسرَحُ وتَمرَحُ على ضِفافِه . هنا تغتَسِلُ وهناكَ تَسبَحُ وتَتهادى معَ التيّارِ ، وهنالِكَ تَختَبئُ وتَتلاحَقُ وتَتناجى بينَ القَصَبِ والأعشابِ المائيةِ .



أصدقاء الجدول





يَعسوب

وتابَعَ الرُّبّانُ حَديثَهُ قائلا :

– هـذهِ الألعـابُ بينَ الطُيورِ والجَدْوَلِ، مُشوِّقَةٌ للغايَةِ، فهي تكاد لا تفترِقُ عنْهُ.

قالَ نبيل : هذا صحيحٌ. إنَّ البَجَعَ لا يُفارِقُ ضِفافَ الأَنهارِ أبدًا.

واضافَتْ زينه : والضَفادِعُ الخضراءُ؟

– أجَل. إنَّهُنَّ صديقاتٌ حَميماتٌ، يَتَشارَكنَ في السَرّاءِ والضَرّاءِ. صَهْ، صَهْ! أُنظرا إلى هذهِ الأُعجُوبةِ التي تَحُطُّ هُنا على القَصَبَة... وتَقَدمَ الوَلدانِ بحَذَر.

– إنه يَعسُوبٌ! ...

– هوَ في نظري أجملُ الحَشراتِ قاطِبة. أَجْنِحَتُهُ الغَشائِيةُ الشَفّافَةُ تُعينُهُ على الطَيَرانِ بسُرعَةٍ فائقَة. وأَظنُّ أنَّ المُهندسينَ استَعانوا بشكْلِهِ ليَصنَعوا طائرةَ الهِليكوبتر. إنّهُ يَقضي حياتَهُ على ضِفَّةِ الجَدْوَلِ يَنعَمُ بدِفْءِ الشَمسِ والهَواءِ الطَلْق.

– وثَعلبُ الماءِ، ايُّها الرُّبّان؟

– هذا حَيَوانٌ صغيرٌ كثيرُ الحَرَكةِ يَهيمُ باللَعِبِ في الماء. وهو كالرَفْرافِ والضِفدَعَةِ ومالكِ الحَزينِ يَقْتاتُ منَ الأَسماكِ التي يَصطادُها في الجَدوَل. وما اكثرها! ...

ثَعلَبُ الماء

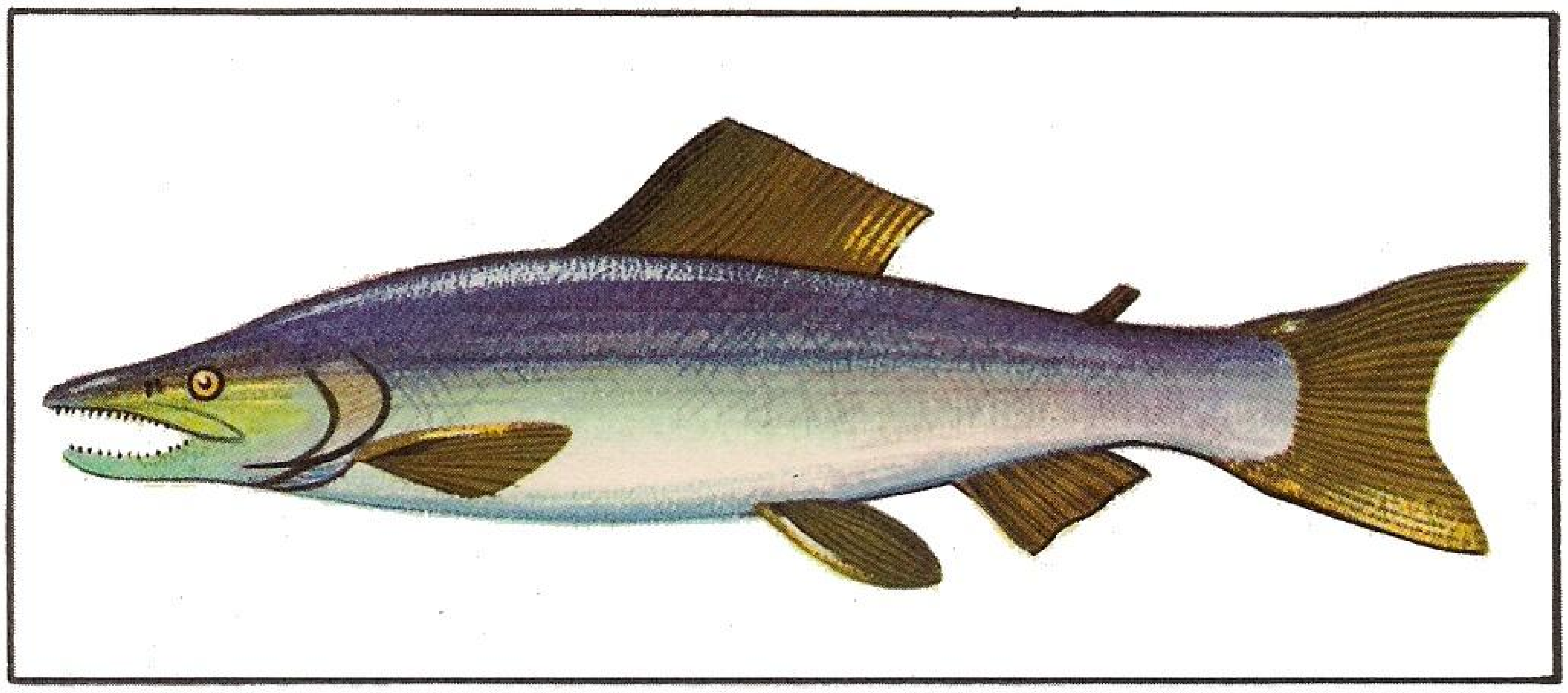




ضِفْدَعةٌ خَضْراء


رَفْراف
طائرٌ غَطّاسٌ ذات عُرْف
بطّ





السلمون حيوان غريب الأطوار. انه يقضي معظم حياته في البحر حيث يطوف آلاف الكيلومترات. ولكنه يعود دائمًا في النهاية الى النبع الذي ولد فيه ليضع بيضه. ولهذه الغاية يصعد في الجدول قافزًا خارج الماء على علو شاهق فوق الشلالات والمنحدرات الوعرة.

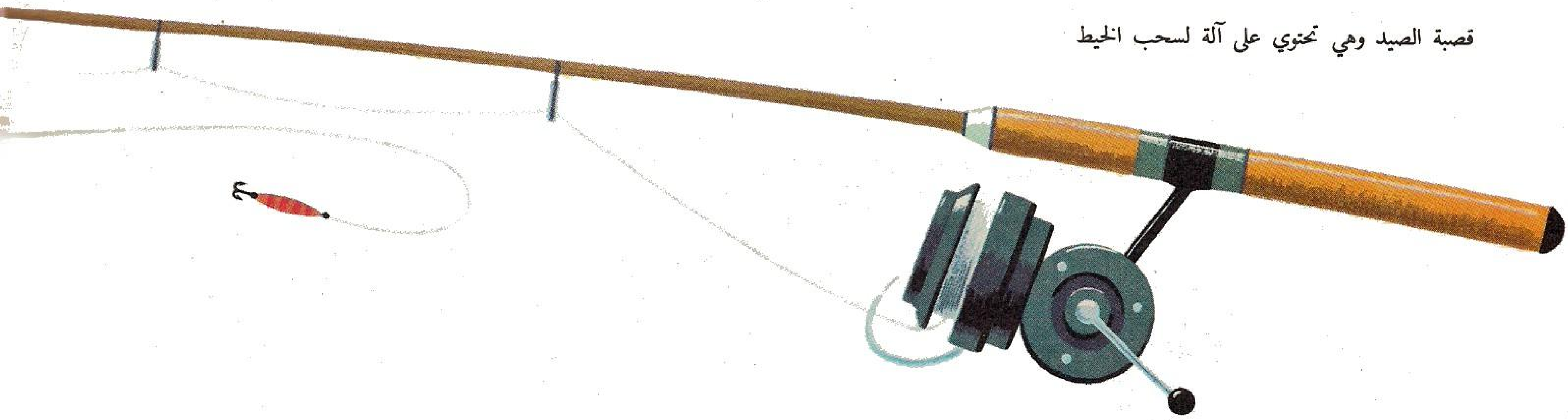


أسماك الجدول

– إيهِ، أيُّها الرُّبّانُ، ما ابدعَ هذهِ الاسماك! هلْ تَعيشُ كلُّها في الجَدْوَلِ؟

– كلُّها. منْ اصغرِها كالڤيرونِ حتى اكبرِها كالسَلْمون. كلُّ واحدةٍ مِنها تَعيشُ وتَنامُ بينَ الأَعشابِ والحَصى في أحضانِ الجَدول.

ألَمْ اقلْ لَكُما إنَّ الجَدولَ في سَفْرَتِهِ الطَويلةِ لا يَتخلّى عَنهُ الأصحابُ ولا تَنْقُصُهُ العِشْرَة.



قصبة الصيد وهي تحتوي على آلة لسحب الخيط

الصيد في الجدول

وسألت زينه مستفهمة :

– ولكن بماذا تقتاتُ هذهِ الاسماكُ في قعرِ الجَدول ؟ وقبلَ أنْ يُجيبَ الرُّبّانُ سمعان عَنِ السُّؤالِ ، نَظَّفَ غليونَهُ وأفرغَ منهُ الرَّمادَ وقال :

– في الغالبِ تـأْكُلُ هذهِ الأسماكُ الحَشراتِ والأسماكَ الاصغرَ حجمًا . ولكنَّها تهوي وتلتهِمُ بِشَراهةٍ بالغةٍ الديدانَ التي يَستعمِلُها الصيَّادونَ طُعْمًا لها .

– وماذا تعْمَلُ الأسماكُ عندما ترى الطُعم ؟

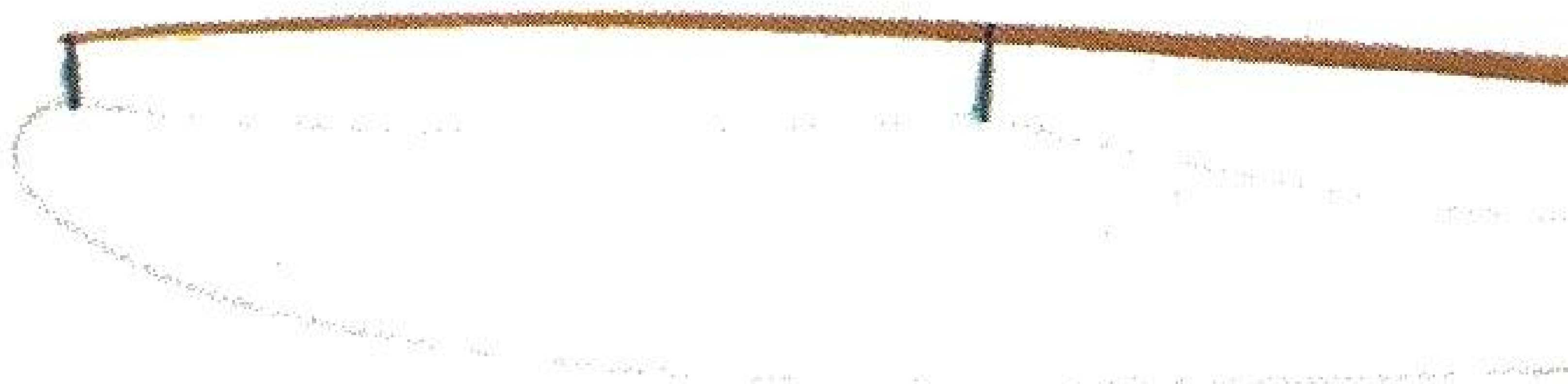
فحشا الرُّبّانُ غليونَهُ وأشعَلَهُ على مَهلٍ ونَفَثَ دُخانَهُ مُستطيِبًا واجاب :

– عندما ترى دودةً سَمينةً وشَهِيَّةً ، تَثِبُ عليها وتَلتَهِمُها . لكنَّ الدودةَ عالقةٌ بالصِنّارَةِ وهذهِ بدورِها مَوصولَةٌ



لقد ابصرت السمكة الدودة. اقتربت منها وازدردتها. حرك الصياد قصبته وعلقت السمكة بالشص.



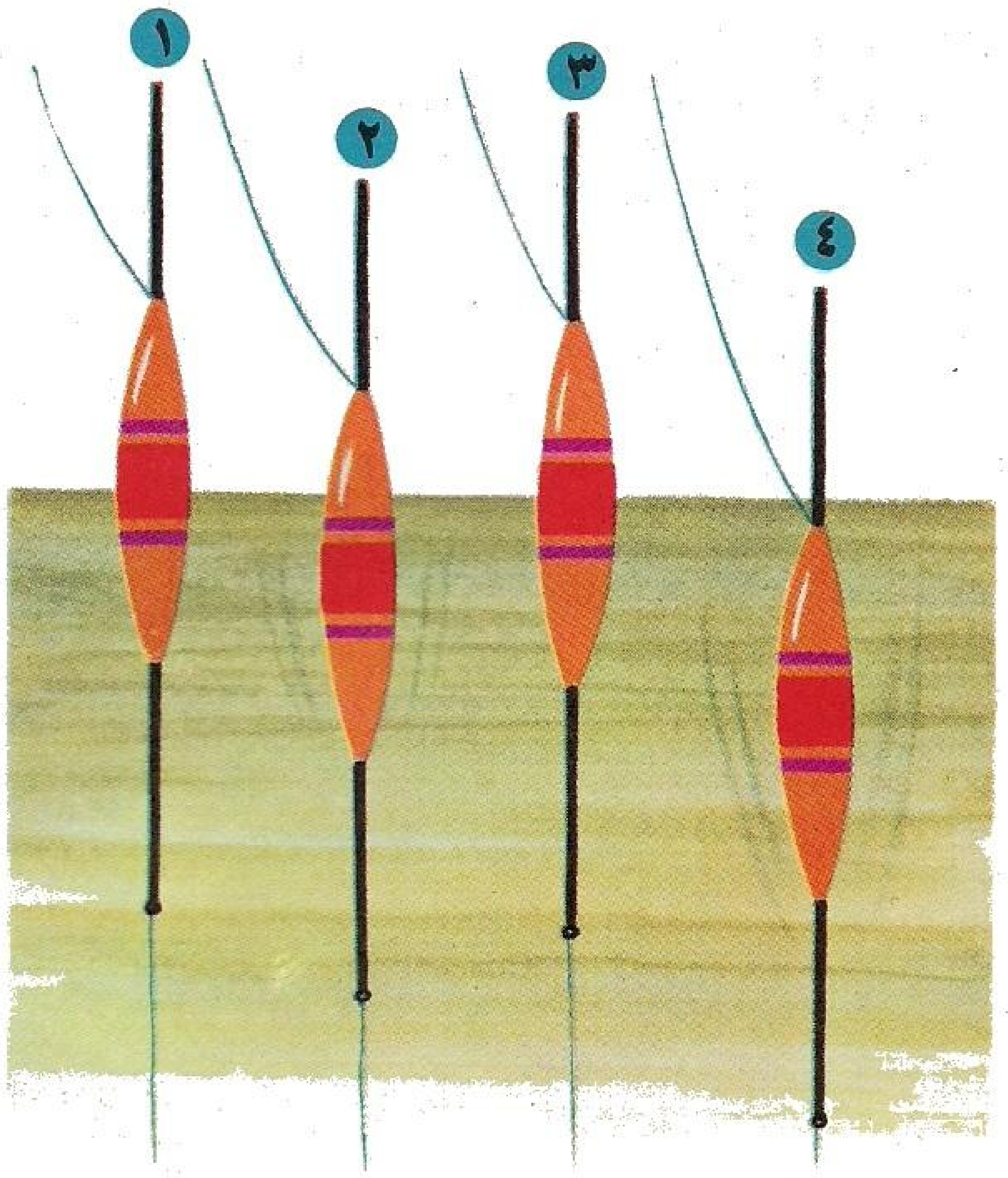


بالقَصَبَة . فتقعُ السَمَكَةُ المِسْكينةُ في الفخ .
وما على الصيَّادِ الّا أنْ يَسحبَ الخيطَ ليُخرِجَ أَسيرَتَهُ خارجَ الماء .

– وكيف العملُ إذا لمْ يَكنْ في حوزَتِنا ديدانٌ للصَيد ؟

– يُستعمَلُ الطُعْمُ الإصطناعيّ . وهوَ إمّا بشكلِ حَشَرةٍ وإمّا بشكلِ سَمَكةٍ صغيرة . أَخطرُها جَميعًا الصنّارَةُ التي تُقلِّدُ السَمَكَةَ الصغيرةَ وهيَ تَسبح .

لمْ تَكنْ هذهِ الأحابيلُ لتَخطُرَ ببالِ نبيل وزينه .



١ عوامة قصبة الصيد.
٢ انها تغوص. ربما علق شيء.
٣ ها هي تعود الى سطح الماء.
٤ وتغوص من جديد. اضغط واسحب !

قاعدة عمل دولاب الطاحونة

التيار يدفع الدولاب الذي يدور ويشغل رحى الطاحون



الطاحونة على الجدول

نَهَضَ الرُّبَّانُ سمعان فَجأةً وقالَ للوَلدَيْن :

– هيَّا بِنا نَتَمشّى قليلًا فنُحرِّكَ الدَّمَ الذي احتَبَسَ في أرجُلِنا .

– الى اينَ ، ايُّها الرُّبّان؟ ألنَشتريَ الصنانيرَ الإصطناعِيةَ؟

– كلّا . بِودّي أنْ أُرِيَكُما شيئًا آخر .

وبالفعلِ بعدَ دَقائقَ منَ المشْيِ والأحاديثِ الطَريفةِ كانَتِ المُفاجأةُ تَنتَظِرُ صاحِبَيْنا :

– هذه طاحونةٌ تَسيرُ على الماء !

آه ، ما أجملَها ، أيُّها الرُّبّان !

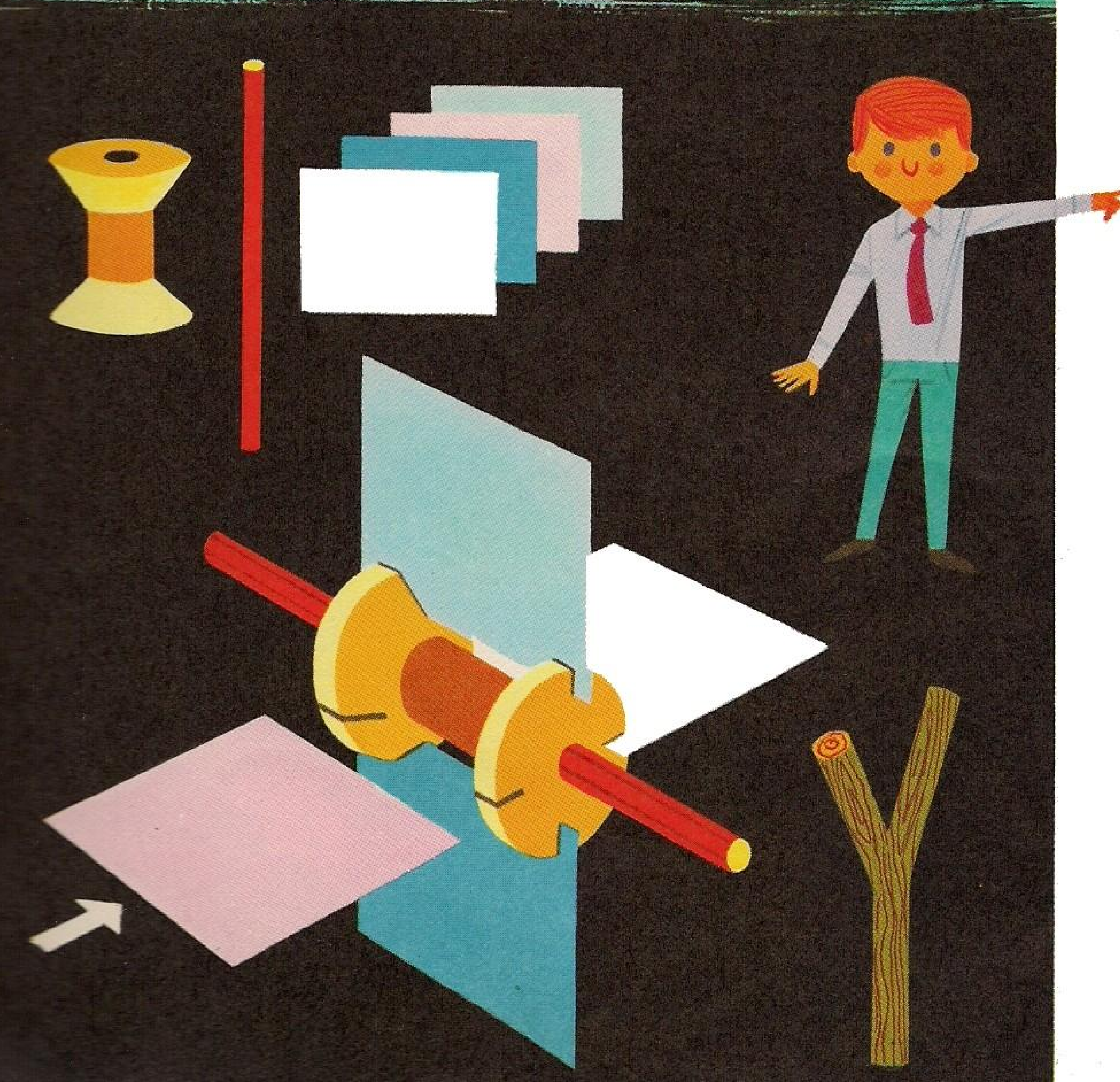
– إنَّها تعمَل .

– أُنظرا اليها جيّدًا لأنَّها منَ القلائلِ التي تَعملُ في ايامِنا .

– لِمَ تُستَعمَل؟

– لِطَحنِ الحُبوبِ وتحويلِها الى طحينٍ مُسْتَخدِمةً طاقةَ تيّارِ الجَدوَل .

– لا بأسَ بالفِكْرَة ...



على ضفة الجدول صنع نبيل دولاب طاحونة صغيرة ببكرة وقلم واربع قطع من الكرتون وغصين منفرج .


Z
R
R
R



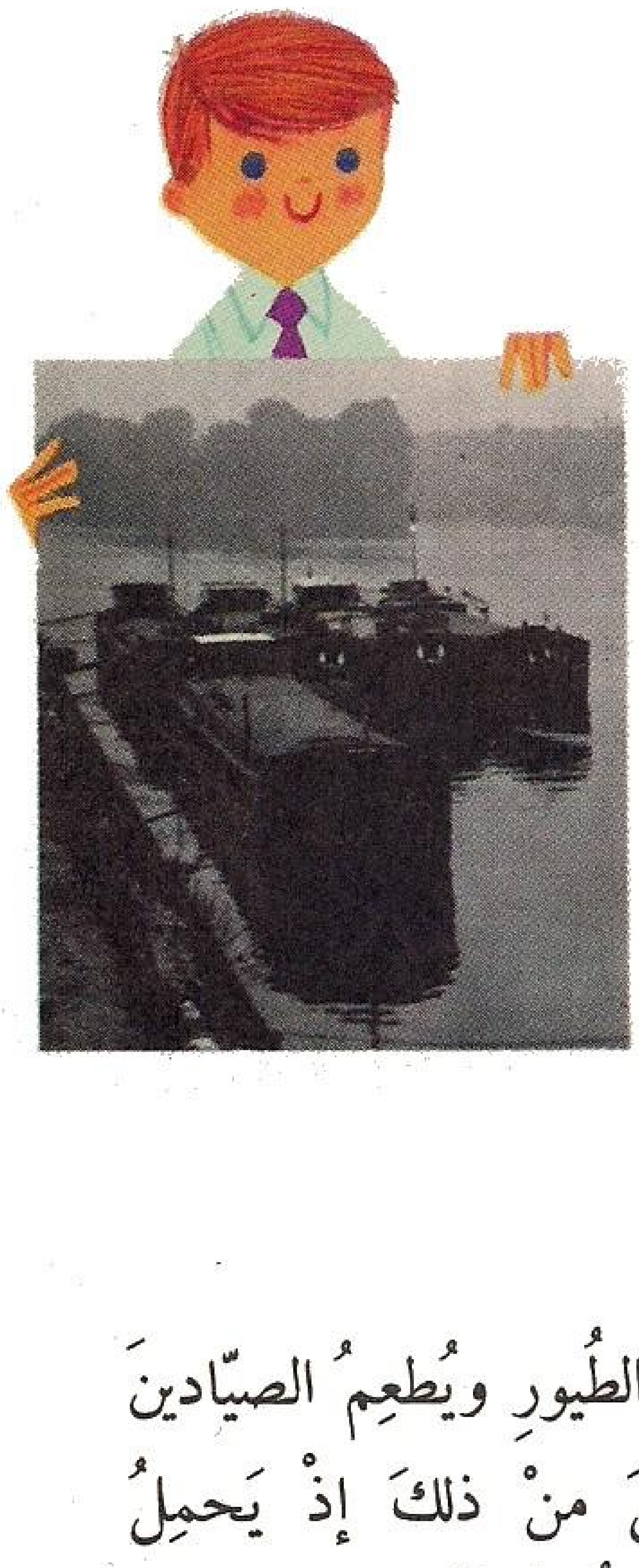
دهش نبيل وزينه وهما ينظران الى السد اثناء العمل. بالحقيقة انه لعمل رائع قام به الفنيون !

القارب المسطح يجتاز النهر في ثلاث مراحل ، لنفترض ان القارب المسطح آتٍ من المستوى العلوي .

١ يملأ الحوض الى ذات المستوى وهو القسم الواقع بين البابين. ويفتح الباب الأعلى فيدخل القارب في الحوض .

٢ يغلق بعدها الباب الاعلى ويفرغ الحوض حتى تصبح المياه بمستوى القسم الاسفل .

٣ ويفتح الباب الاسفل ، فيخرج القارب. ليتمكن القارب من الصعود من اسفل الى اعلى تجري العملية بالعكس .





السدّ : مصعد على الجدول

وأردفَ الرُّبّانُ سمعان قائلا :

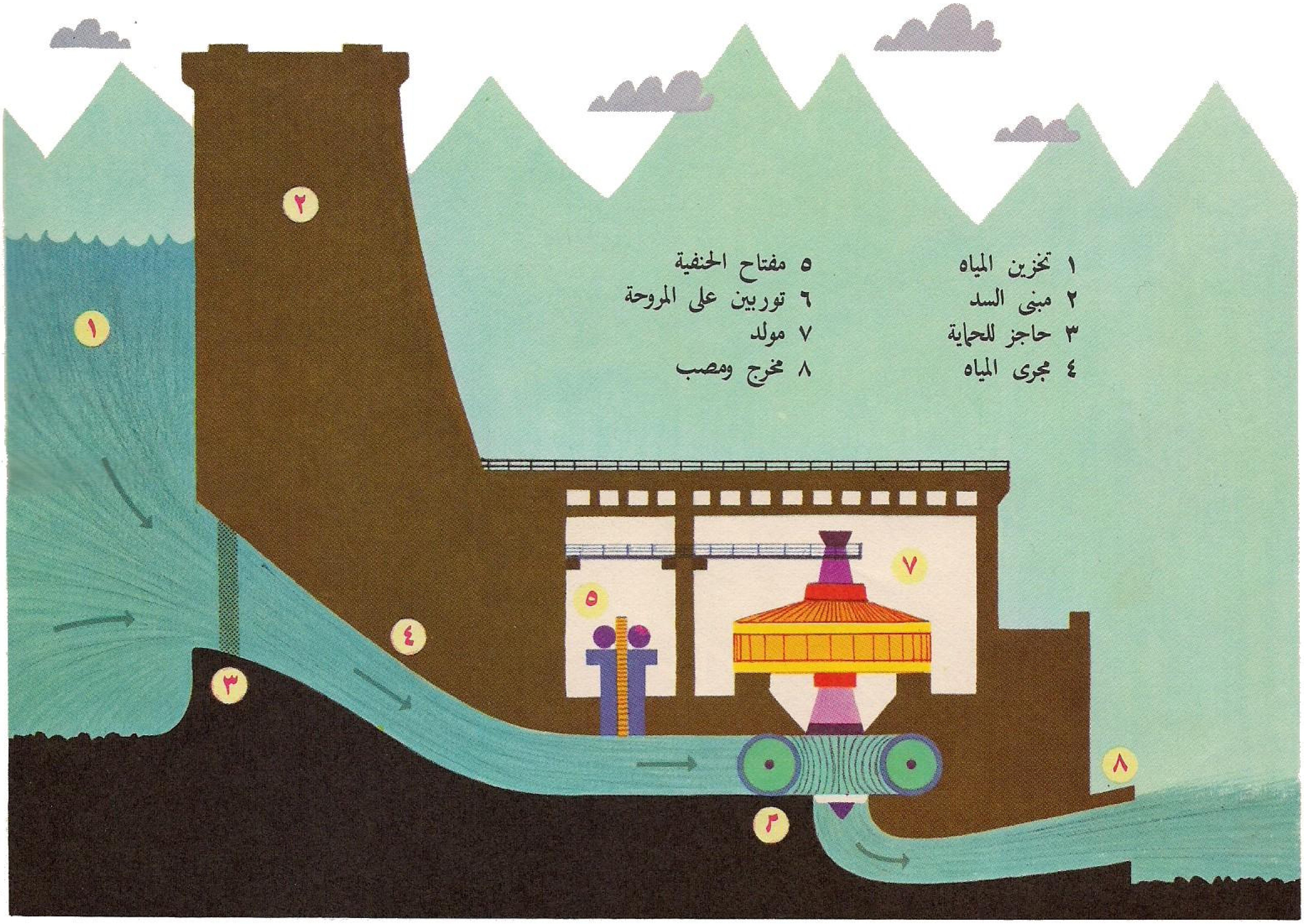
– اذا كان الجَدْوَلُ يَستقبِلُ كثيرًا منَ الطُيورِ ويُطعِمُ الصيّادينَ ويُسَيِّرُ دواليبَ المطاحِنِ إنهُ يَعمَلُ أفضلَ منْ ذلكَ إذْ يَحمِلُ على صَفحتِهِ القَوارِب . بعدَ قليلٍ ساشرَحُ لكُما أهميَّةَ هذهِ القواربِ في حياةِ كلٍّ منّا . أمّا الآنَ إليْكُما هذا الحاجزَ على الجَدوَل : إنه السَد .

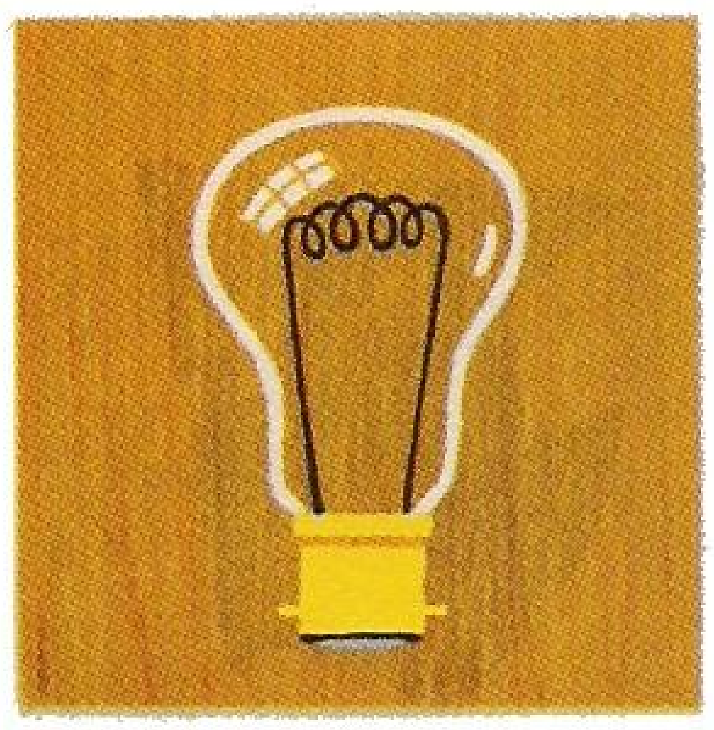
– ما هيَ مَنفعَتُهُ؟

– هوَ كالمِصْعَد. بواسِطَتِهِ يَمُرُّ القاربُ منْ مستوًى اعلى الى مستوًى اسفلَ وبالعكس .

– كما نَفعَلُ نحنُ عِندما ننتقِلُ من طابقٍ الى آخَر .

– تمامًا .





الكهرباء في المنزل بفضل السدّ

السَدُّ هو أعظمُ الأَعمالِ التي تُقامُ على الجدول. قدْ يَبلُغُ عُلوُّهُ عِدَّةَ مراتٍ عُلُوَّ بنايةٍ عاديَّة.

– يا إلهي ! ما هذا البناءُ الجبّار ؟ وما هيَ مَنفعَةُ السّد ؟

قالَ الرُّبّانُ شارحًا :

– السَدُّ يحصُرُ كميّاتٍ كبيرةٍ منَ المياهِ ويُؤَلِّفُ بالتالي بُحيرةً إصطناعيَّة.

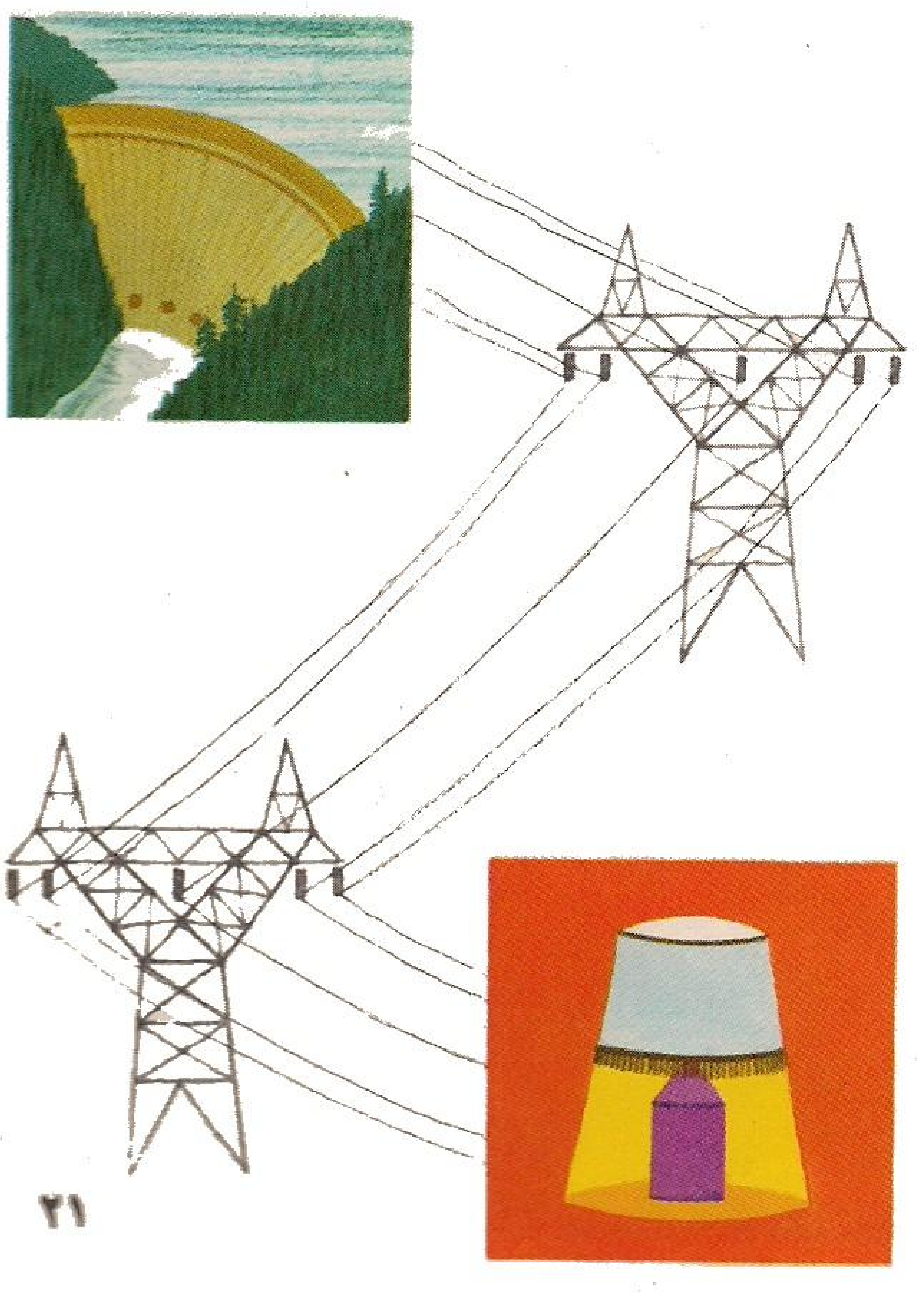
– وما هيَ الغايةُ منْ خلقِ بُحيرةٍ إصطناعِية ؟

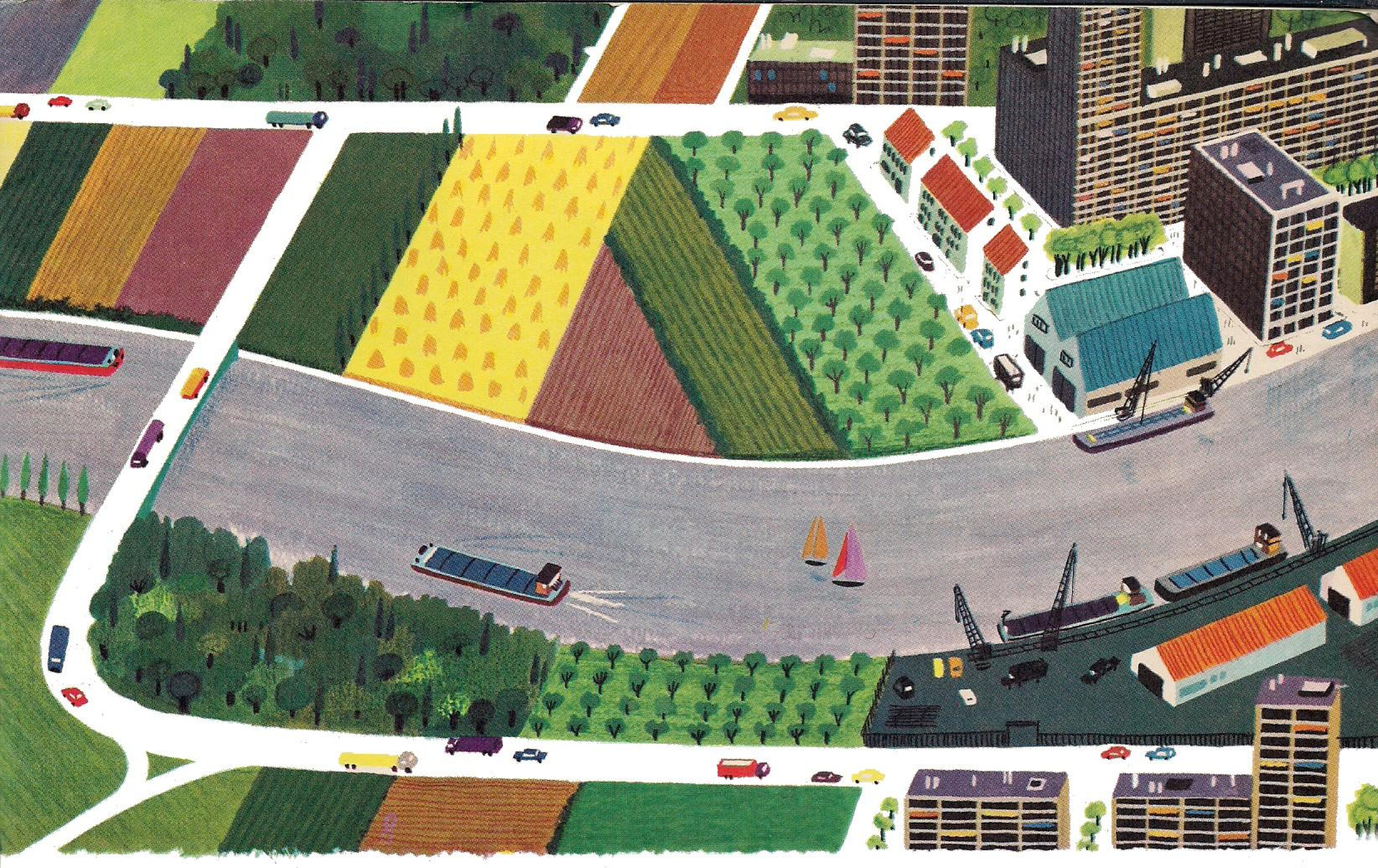
– لأسبابٍ عدَّة : فَبدَلَ مِنْ أنْ تَصبَّ المياهُ في البَحرِ وتَضيعَ هَدرًا تُحفَظُ في شِبْهِ خزّانٍ ضَخمٍ لِوقْتِ الحاجَة. والبُحيرةُ إنْ طَبيعيةً وإنْ إصطناعيةً جميلَةُ المَنْظَرِ وتنتَشِرُ على ضِفافِها المَقاهي وتَجري فيها الألعابُ الرِياضية...

– ... وأهمُّ فائدةٍ لَها ، هي الكَهرباء . انَّكما لا تَزالانِ تَذْكُرانِ مَبْدأ دولابِ الطاحونةِ كيفَ يَدورُ على نفسِهِ بفعلِ تيَّارِ الماءِ الجاري فيُديرُ الرَحى . هُنا ضَغطُ الماءِ المَكبوتِ قويٌّ لِدَرجة أنَّهُ اذا أُفلِتَ وأُجْرِيَ في أُنبوبٍ ضيِّقٍ استَطاعَ أنْ يُديرَ مُحَرِّكاتٍ كَهَربائية ذاتَ قوَّةٍ هائلة . هيَ هذهِ المُحرّكاتُ التي تُسَمّى مُوَلِّداتِ الكهرباءِ التي تُعطينا الكَهرباءَ فَنَسْتَهلِكُها يَوميًّا . أَلَيسَ هذا مُدْهِشا ؟ !

– كيفَ لا ، ايُّها الرُّبّان ! ما فكّرنا يَومًا في كلِّ فوائدِ الجَدوَل ...

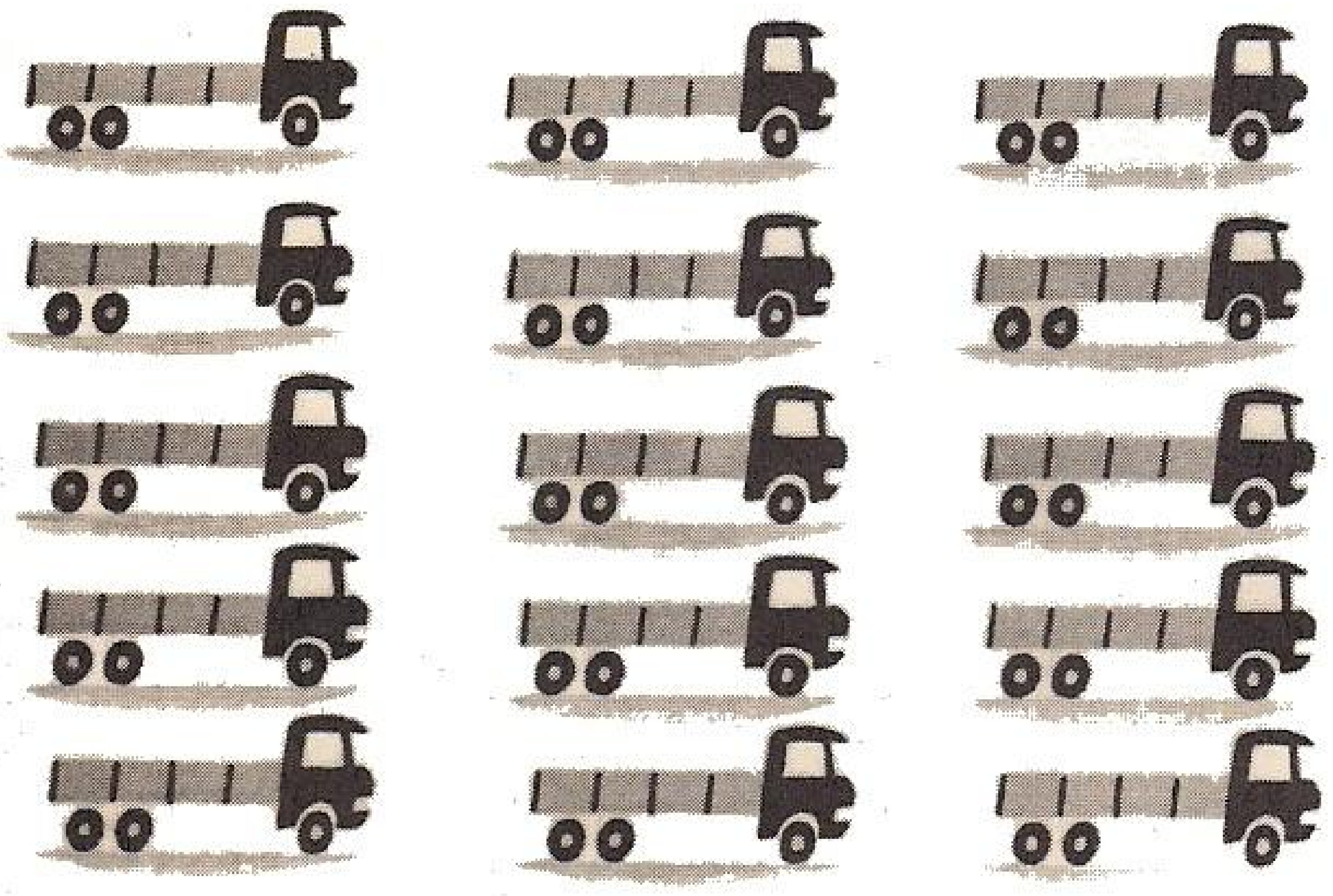








يلعب النقل بواسطة المراكب النهرية دورًا هامًا في التبادل الصناعي الوطني وحتى الدولي. اذ ان المواد الاولية التي تأتي من الخارج تصل بقليل من الكلفة الى المصانع الموجودة داخل البلاد. وبالعكس، ان منتجات هذه المصانع تصدّر الى الخارج بذات الطرق، وتوصل الى المرافئ البحرية التي تنقلها بدورها الى اصحابها. على كل حال، النقل بواسطة المجاري المائية اقل كلفة من اي وسيلة اخرى.



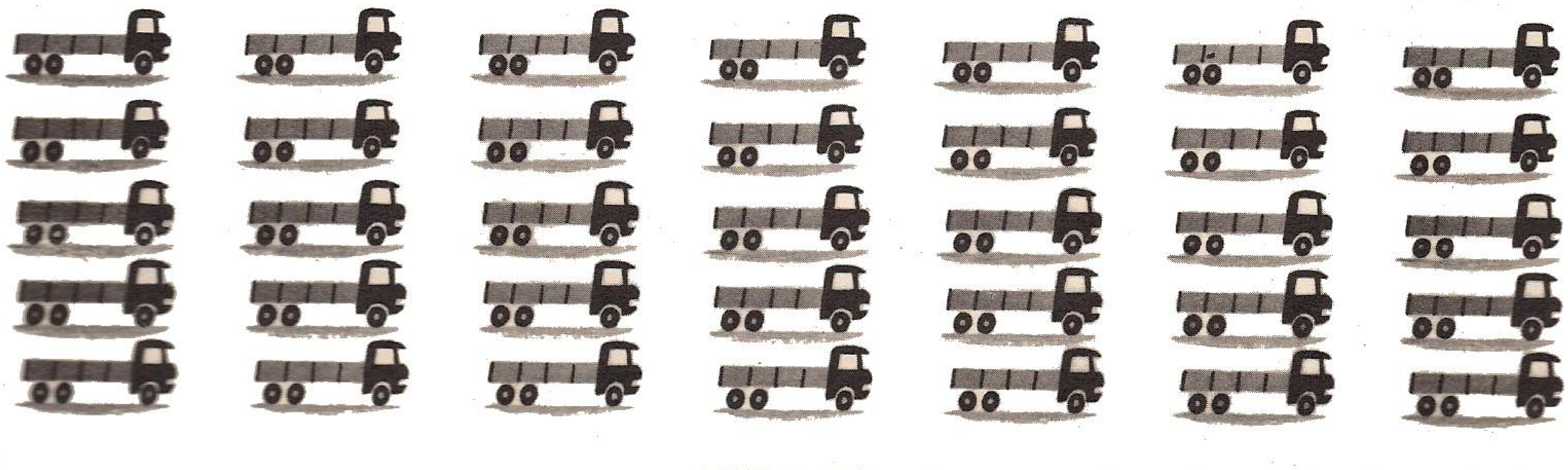
أتعرفون ان هذا المركب الذي يشاهده نبيل وزينه



الجدول صديق نافع متفان

واستَطْرَدَ الرُّبّان حَديثَهُ قائلا :

– إنَّ مجاريَ المياهِ تُؤَدّي خدَماتٍ كثيرةً فهيَ تَرْوي المَزروعاتِ وتُؤَمِّنُ مِياهَ الشُربِ في البيوتِ ، وتُستَخدَمُ لِقضاءِ الحاجاتِ المُختلِفَةِ ، وتَحمِلُ المراكِبَ لشَحنِ البضائعِ لإيصالِها منَ البَحرِ الى داخلِ الاراضي وبالعكس. الشحنُ بالطُرُقِ النَهريةِ أقلُّ كِلْفةً منْ غيرِها بسببِ الكمِّيَّةِ الكبيرةِ التي تَستطيعُ أنْ تنقُلَها المراكبُ دَفعةً واحدة.



يحمل بمفرده من الفحم بقدر ما تحمل هذه الشاحنات مجتمعة وحمولتها ستة اطنان؟



أجدادنا والجدول

– اذا كانَ الدَورُ الذي يَلعبُهُ الجَدولُ في أيامِنا هامًّا، فقدْ كان حَيويًا زمَنَ أجدادِنا.

– في عَصْرِ الإنسانِ الأوّلِ، أيُّها الرُّبان؟

– أَجَلْ، وعندما انتشَرَ الناسُ على هذهِ البَسيطةِ وَطافوا



فِي مَجاهِلِها كانَ قُوتَهُمُ الوحيدَ ما يَصطادونَهُ منَ الأسماكِ ويَقْتنصونَهُ مِنَ الطُيور. وإذا أرادوا أنْ يُروُوا غَليلَهُمْ لا يعرِفونَ غيرَ ماءِ الجَدول. ولمّا عاشوا في شُقوقِ الأرضِ والمَغاوِرِ وذاقوا أخطارَها لَجأُوا الى مجاري المياه حيثُ بَنَوا اكواخَهُم بما اقتَطَعوا مِنْ اشجارِ الغاباتِ فحَمَتْهُم مِنَ الوُحوشِ واللُصوصِ وساعدَتْهُمْ في تَنقُلاتِهِم. وعلى مَرِّ العصورِ تَرَقّى الناسُ وتَحَضَّروا فتَحَوَّلَتْ هذهِ المباني الخَشَبيةُ الى ناطِحاتِ سَحابٍ وتَألَّفتِ المُدُنُ والقُرى بفَضلِ العِلْمِ والفَن.

والتَفَتَ الرُّبّانُ سمعان الى صَديقَيْهِ وقال : والآنَ ، يا نبيل وزينه ، ما رأيُكما بكلِّ هذا؟

– بالحقيقة ، أيُّها الرُّبّانُ ، ما ظَنَنّا يومًا أنَّ مثلَ هذا المجرى البَسيطِ لهُ مِنَ الأهميَّةِ بهذا المقدار... إننا نَعِدُكَ أننا لَنْ نُقيمَ بعدَ اليومِ حاجِزًا مِنَ الحِجارةِ لِنُعيقَ مَجراه.

– هذا حَسَن. والآنَ هيّا معي لِنَصطادَ قليلا.

وهتَفَتْ زينه مُستَغرِبَةً مُعارِضَةً : كلّا ، أيُّها الرُّبّانُ ، كيفَ تُريدُ أنْ نُضِرَّ هذهِ الاسماكَ الجميلة؟...



وتَمتَمَ الرُّبّانُ سمعانُ خَجِلًا :

– مَنْ قالَ لكُما إننا سنُعذِّبُ هذهِ الحَيَواناتِ الصغيرة؟ إصْنَعا مِثلي : أمْضِيا النهارَ على ضَفَّةِ الجَدولِ و... اصطادا بِدونِ صِنّارَة !...



Textes et illustrations par Alain GRÉE

ظهر هذا الكتاب بالفرنسية تحت عنوان :

LA RIVIÈRE dans la collection *«Cadet Rama»*. Éditions CASTERMAN, S.A., Tournai, Belgique

مجموعة نبيل وزينه



الجبل



البحر



الغابة



البواخر



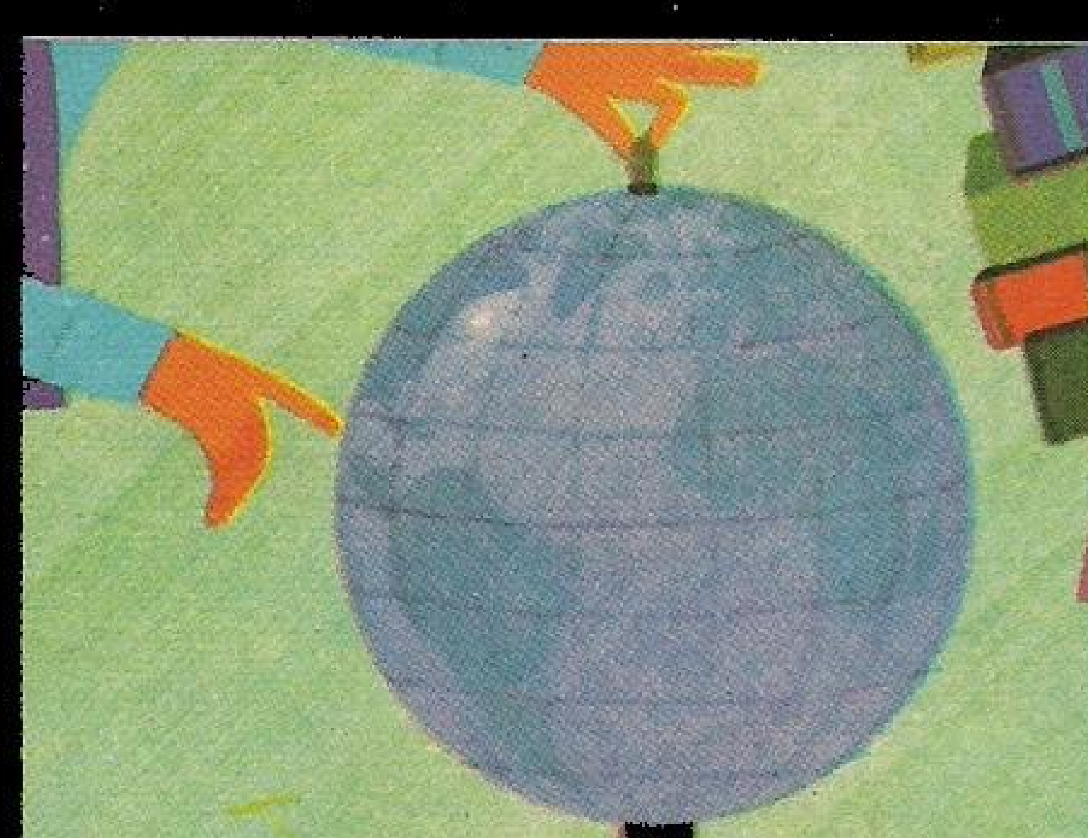
النفط



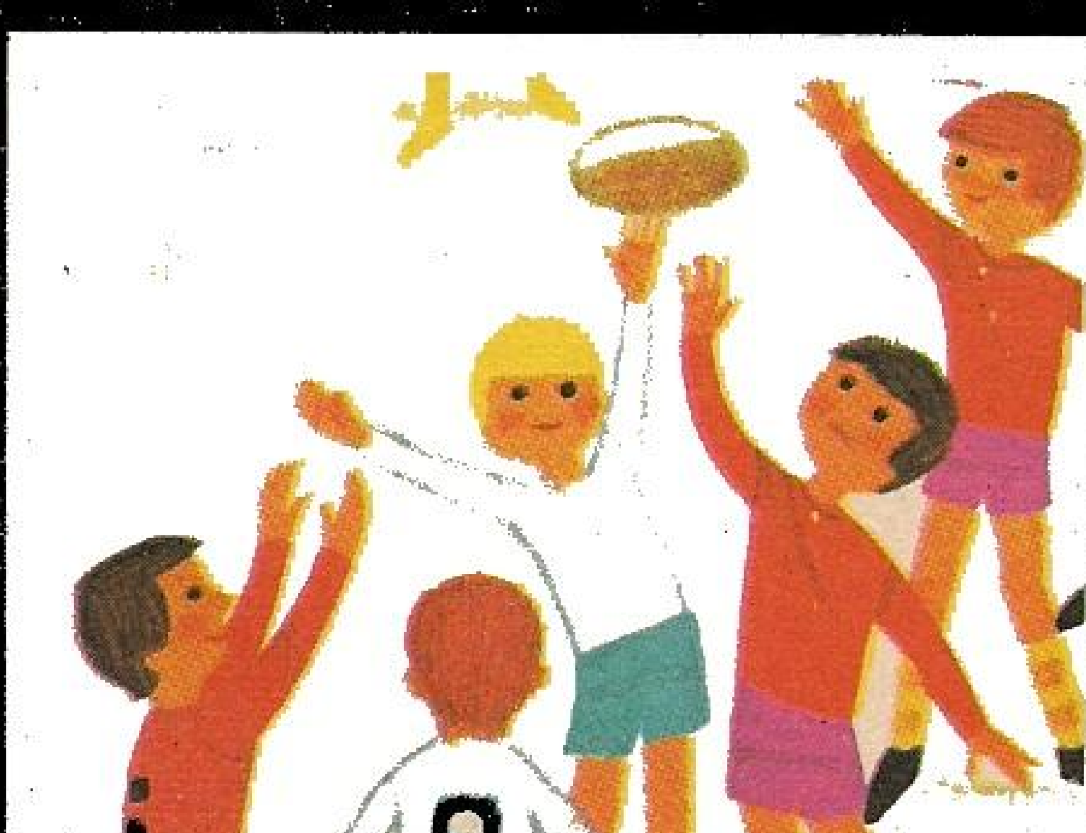
القطارات



السيّارة



الاطلس الصغير



الالعاب الرياضيّة

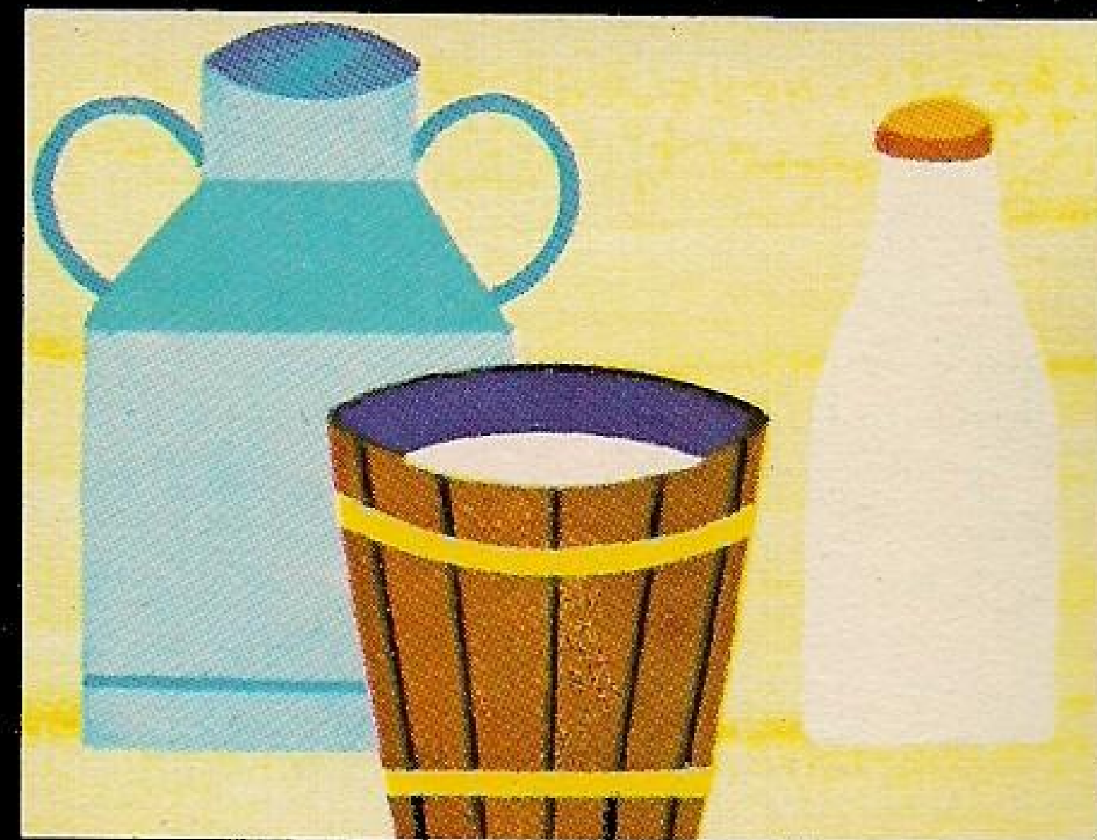
دار المشرق ص.ب ٩٤٦ - بيروت - لبنان

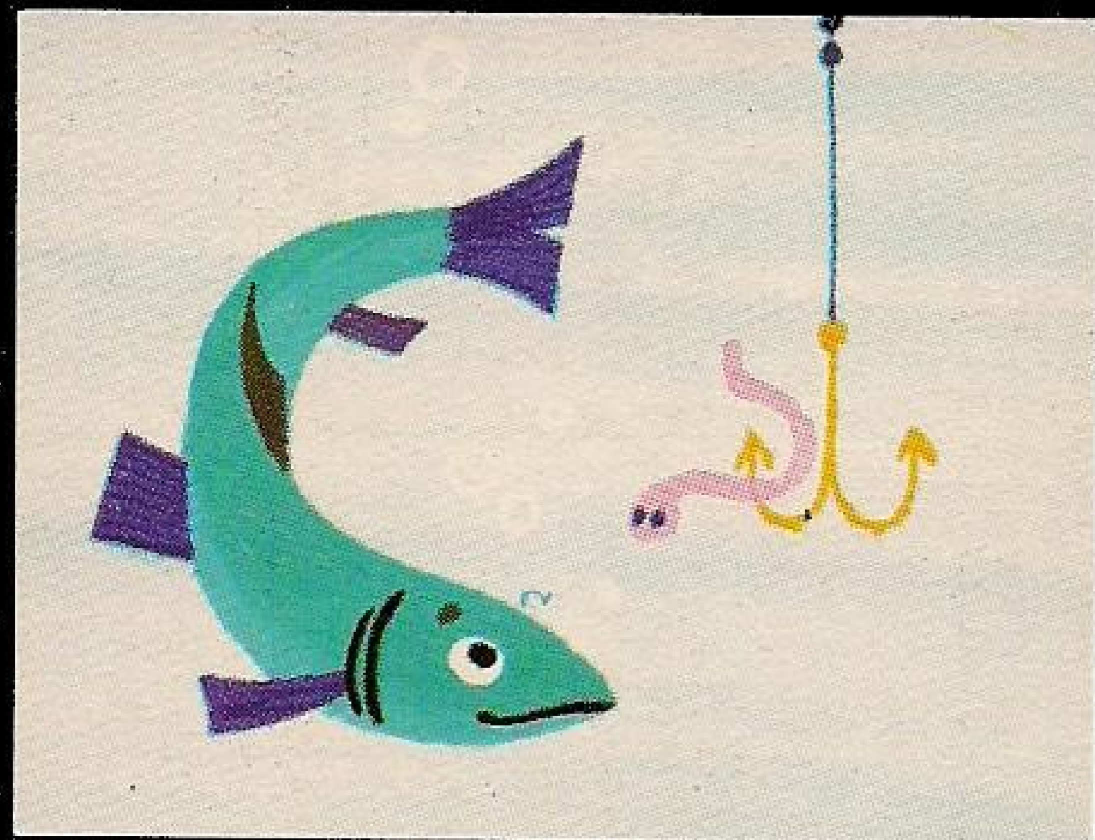
طُبع في المطبعة الكاثوليكية - بيروت

٢٣٦٠-٥-١٥ / ٤ / ٧٦

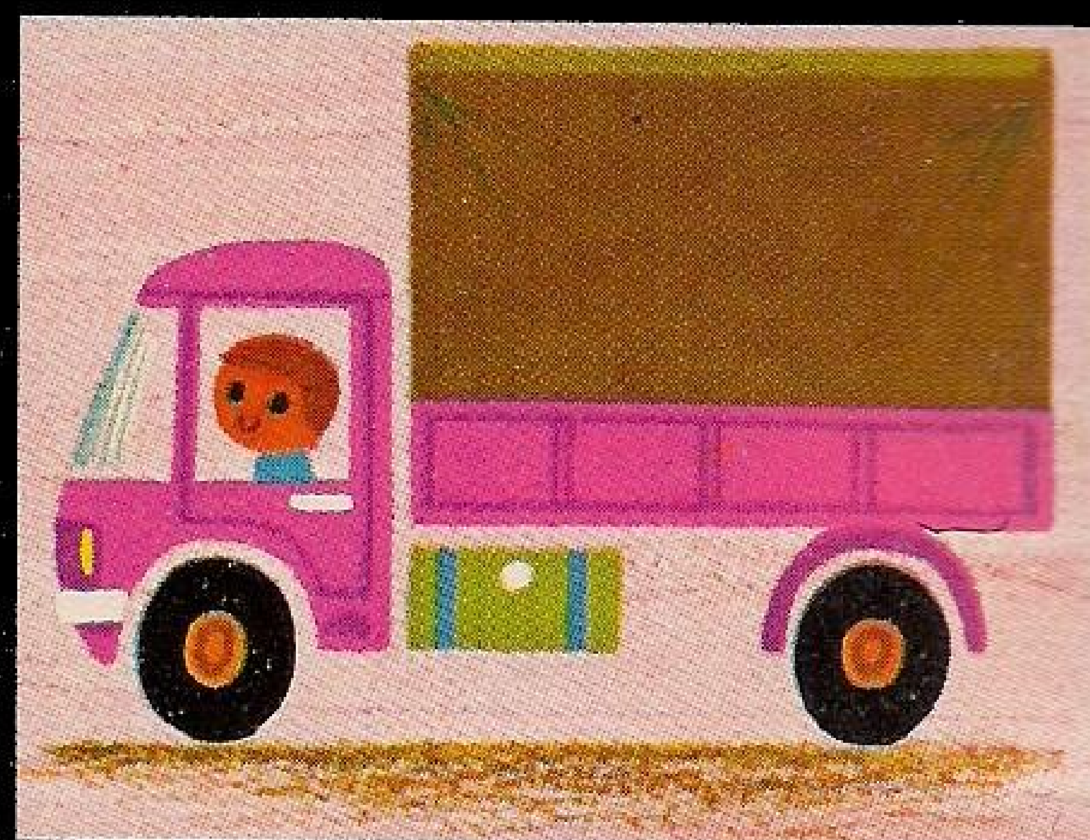
مجموعة قصص
ذات طابع علمي مشوّق

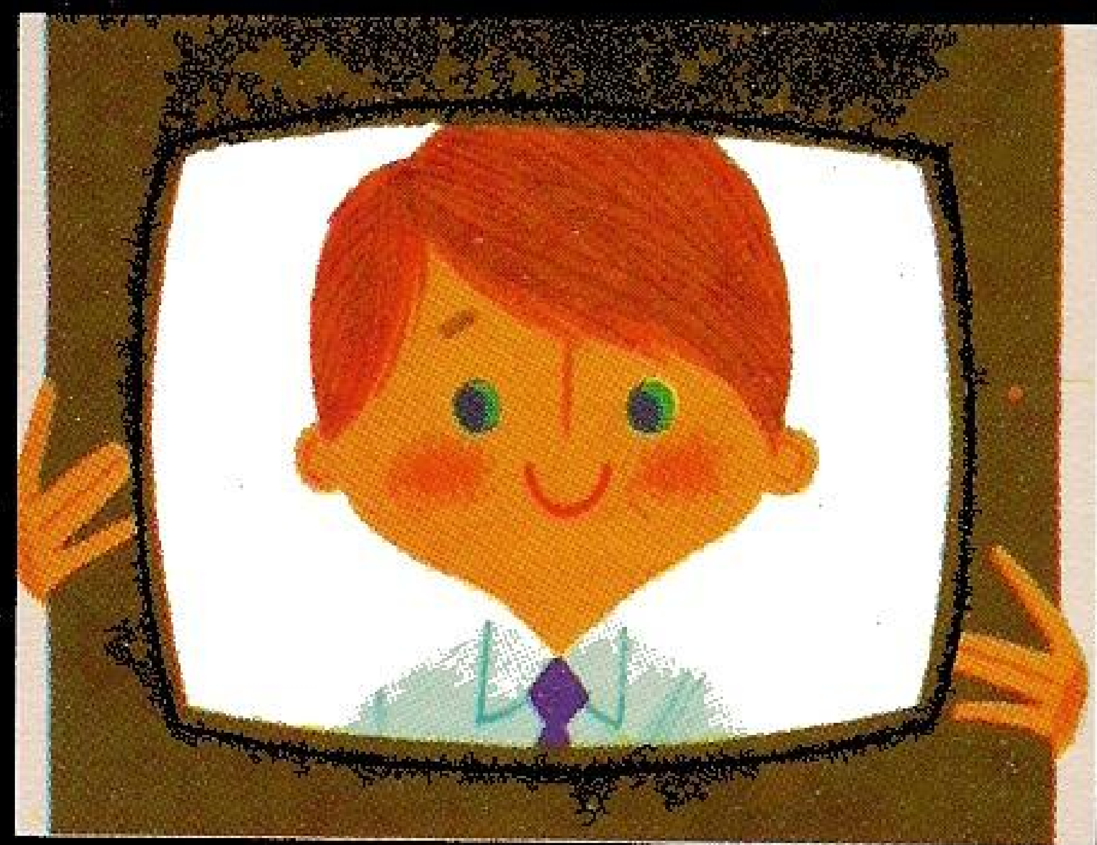
راجع تعريب الأجزاء الإثني عشر الأولى
ونقل ما تبقى منها إلى العربيّة :
توفيق يوسف يونس


المزرعة

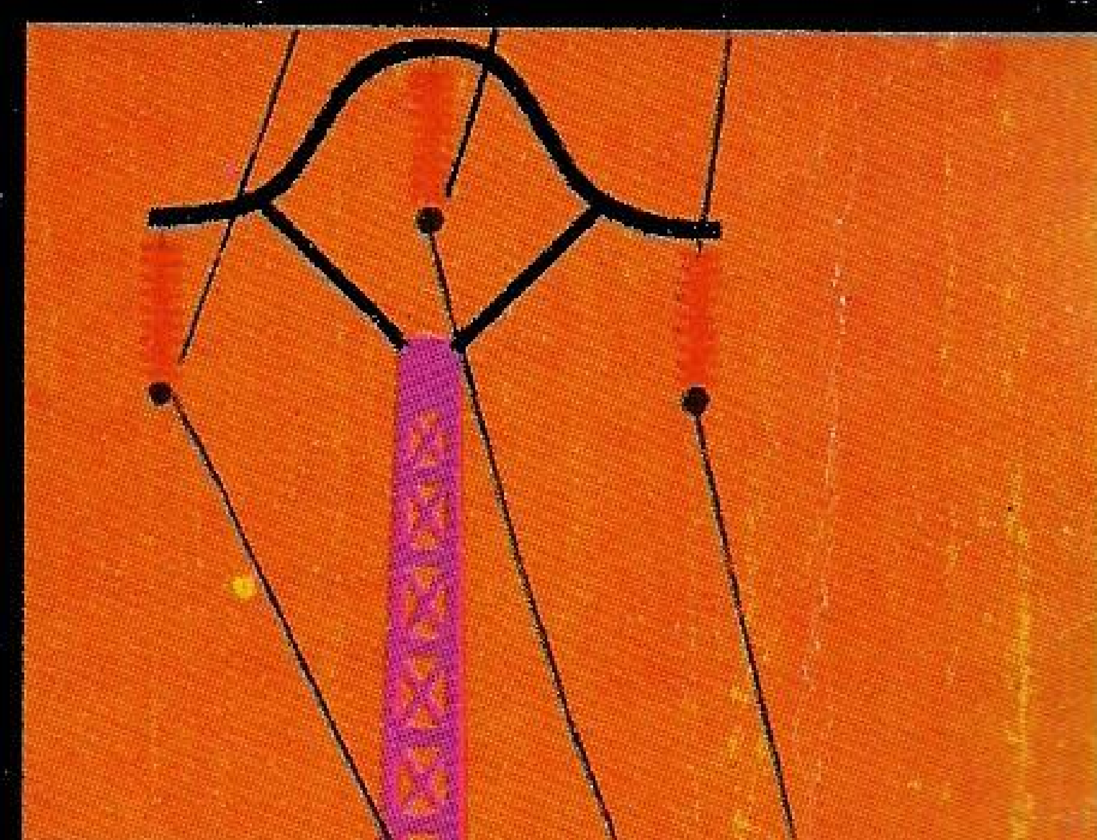

الجدول


المدينة


طرق النقل


التلفزيون


الطائرات


الكهرباء


الطيور


الفضاء

التوزيع : المكتبة الشرقية - ساحة النجمة - ص.ب ١٩٨٦ - بيروت، لبنان



ظهر من هذه المجموعة :

١ - الجبل

٢ - البحر

٣ - الغابة

٤ - المزرعة

يظهر قريبًا :

٦ - المدينة

٧ - البواخر

٨ - النفط

٩ - القطارات

١٠ - طرق النقل

١١ - التلفزيون

١٢ - الطائرات





التوزيع : المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص . ب : ١٩٨٦ - بيروت . لبنان